كشف شبهات المخالفين

في توحيد الأنبياء والمرسلين



عبدالله بن صالح القصير





كشف شبهات المخالفين

في توحيد الأنبياء والمرسلين

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبدالله بن صالح القصيّر

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م



المقدمة

مقدمات وتطبيقات لتفنيد الشبهات

المقدمة الأولى:

الشبهات: **جمع شبهة.**

والشبهة: **هي المسألة الباطلة التي صورت للناس شبيهة بالحق لما أورد عليها من الأدلة التي يظن المستدل بها والسامع لها ـ من غير أهل الفقه في الدين ـ أنها من العلم لما قرن بها من الدليل والبرهان، فظنوها من الحق لشبهها به، فهي أمر باطل استدل له بدليل حق فيظن ضعيف العلم أن هذا الباطل حق لاقترانه بدليل حق والدليل في الحقيقة عليه لا له، فصار أمرها غير واضح لبعض الناس، فالاستدلال باطل بكل حال، والدليل قد يكون حقًّا وقد يكون باطلًا، إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما يستدل به من أجله.**

المقدمة الثانية:

الشبهة قد تكون في الاعتقاد كقول المشركين عن معبوداتهم من دون الله: ﴿هَٰؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨]، وقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، وقد تكون في الأحكام كقولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقولهم في تبرير أكل الميتة وترك التذكية: (الميتة قتلها الله، فهي أولى بالحل مما ذبحتم بأيديكم).

المقدمة الثالثة: كشف الشُبهة: هو تفنيدها وإبطالها وردها بالحجج والبراهين النقلية والعقلية، وبرفع التباسها بالحق ببيان مضمونها وغايتها ووجوه بطلانها ومخالفتها للحق، وفساد الاستدلال بها أورد لها من الأدلة الصحيحة، وبطلان الأدلة الضعيفة.

المقدمة الرابعة:

كشف الشُبهات ورد الضلالات أصل من أصول الدين التي دل عليها الكتاب والسنة، وقام بها أئمة الأمة منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا، فإن القرآن والسنة قد دحضا الشُّبه التي أثيرت على الحق زمن الوحي من أهل الباطل، واشتملا على أصول دحض الشُّبه ورد الباطل، فإن أهل الباطل لهم كتب وعندهم حجج،ولكنها داحضة إذا قوبلت بالحق من أهل الحق المختصين بفقهه وفهمه، ومعرفة ما في خلافه من وجوه البطلان، قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ [الأنبياء:١٨].

وفي القرآن آيات محكمة كثيرة تبطل الشرك وتفند كل ما يتعلق به المشركون لتبرير شركهم، كقوله تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [فاطر:١٤].

وفي السنة الصحيحة أحاديث كثيرة في هذا الشأن، ورد الصحابة رضي الله عنهم على الخوارج والقدرية معلوم، ولأئمة التابعين وتابعيهم بإحسان، وأئمة الهدى من بعدهم ردود على المعتزلة والمرجئة وغلاة الشيعة ومنكري السنة كثيرة وفيها مصنفات مستقلة.

فدحضُ الشبهات التي تورد على الحق واجب على من رزقه الله علمًا بحسب الطاقة على من عنده أهلية من أهل كل زمان ومكان، وهذه الرسالة المباركة ـ إن شاء الله ـ أنموذج متواضع يساهم في تفنيد شبهات أهل الباطل، ونموذج من جهود أعلام الأمة في تفنيد شبهات أهل الباطل وهداية الأمة للحق لأن ترك الشبهات دون رد يجعل الباطل يلتبس بالحق، وهذا من أسباب خفاء الحق وضلال كثير من الخلق.

المقدمة الخامسة:

إنما سمى الله تعالى ما يدلي به أهل الباطل، من الشُّبه ـ معترضين بها ـ على الحق حجة لقوة الشبهة، أي: تشبيهها بالحق، وذلك لما فيها من الاستدلال بنصوص الحق على الباطل، مع ما يزينون به باطلهم من زخرف القول حتى يكون لبعض شبههم حظ من النظر، أي أنها تستحق التوقف عندها والنظر فيها لما فيها من مشابهة الحق ـ لأول وهلة ـ فتدخل العقل، لكنها عند الفحص والتمحيص، وعرضها على النصوص المحكمة، وهدي النبي ﷺ، ومنهاج السلف الصالح يتبين أنها بهرج وخداع، وأنها حجج داحضة أمام أنوار الشرع.

المقدمة السادسة:

قد يكون القصد ـ أي: الغرض ـ من إثارة الشبهة سيئًا وقد يكون حسنًا، **فقد يقصد منها:**

أ- تشويه الحق والصد عنه، والتنفير من أهله، وتزيين صور من الشرك وأمور من الباطل؛ كزعم أهل الشرك أن القرآن سحر، وأن النبي ﷺ يعلِّمه بشر.

ب- وقد يكون سبب إثارة الشبهة سوء الفهم للنصوص أو إشكالًا طرأ على من ينتسب إلى العلم، فظنّ أنه محق فيما أداه إليه اجتهاده، مثل بعض البدع القولية والعملية، وهو مخطئ موافق لبعض أهل الضلال من غير قصد منه؛ كزعم بعض علماء المذاهب أن الاحتفال بمناسبة المولد قربة، واتباع بعض من ينتسب للعلم والدعوة لهم على ذلك.

المقدمة السابعة:

الشبهات:

أ- منها ما هو قديم ومردود عليه في القرآن والسنة وكلام السلف الصالح، كشُبه المشركين في إنكار البعث والجزاء وشبههم في التعلق بالخلق من الملائكة والنبيين والصالحين ودعائهم من دون الله لكن أهل الباطل يتوارثونه ويتفننون في تجديد أساليب عرضه على الناس حتى يظّن أنه جديد، وشبه المنحرفين في الصفات والقدر.

ب- ومنها ما هو جديد، ومن إيحاء شياطين الجن والإنس بعضهم لبعض زخرف القول غرورًا إذا ظنوا فتور أهل الحق كشُبه الذين يزينون للناس عبادة أهل القبور وبدع الموالد ونحوها، وشبه الذين يجادلون في بعض أحكام الشرع ليحلوا الحرام بدعوى المعاصرة وتطور الأحكام بتغير الأحوال تقليدًا للغرب واتباع للأهواء والشهوات، ونحوهم من أهل المقالات الباطلة.

المقدمة الثامنة:

يجب على عامة المؤمنين و المسلمين إذا أوردت عليهم شبهات أهل الباطل أمور:

الأول: إساءة الظن بأهل الباطل والحذر من الإصغاء إلى شبههم إلا من أجل الرد عليهم ـ ممن هو أهل لذلك ـ، عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨].

وبقوله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ـ يعني: القرآن ـ فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».

ولقول بعض السلف: لا تصغي إلى ذي هوى بإذنيك فإنك لا تدري ما يلقي عليك، وحتى لا يلبسوا عليهم دينهم.

ولذلك عد بعض أهل العلم من أنواع الصبر المأمور به شرعًا: الصبر عن الأهواء المضلة فلا يصغي إلى دعاتها.

الثاني: أن يقول المرء فيما يورد عليه من النصوص المحكمة من القرآن والسنة التي يشبه بها أهل الباطل: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فإن القرآن والسنة حق لكن استدلالك بهما على ما تورد من الباطل لا أفهمه ـ أي: لا أدري وجه دلالته ـ فالدليل عندي حقٌّ محكمٌ بَيِّنٌ ـ أي: إن القرآن والسنة حق ـ لا يُرد ولا يُدفع، واستدلالك أيها المبطل به على ما تريد شبهة لا أفهمها، فلا أترك المحكم من أجل المتشابه حتى لا أتشبه بأهل الزيغ المذمومين في القرآن في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران:٧].

الثالث: الرجوع إلى أهل العلم لمعرفة الحق فيما شبه به أهل الباطل ووجوه رد الشبهة على من جاء بها.

المقدمة التاسعة:

تنوعت الآيات المحكمات في التوحيد، والتي ترد شُبه أهل الباطل:

النوع الأول: آياتٌ بيَّنت إقرار المشركين بتوحيد الربوبية وجنس توحيد الأسماء والصفات، ومع ذلك حكمت بكفرهم وشركهم وضلالهم؛ إذ لم يقروا لله تعالى بالانفراد بالإلهية واستحقاق العبادة وحده، ويخلصوا العبادة والدعاء له، وردَّت شبهاتهم التي يبررون بها عبادة غير الله بوجوه من الرد، منها: تقريرهم بانفراد الله تعالى بالخلق والرزق والتدبير، وأن هؤلاء المدعوين ليس لهم من خصائص الإلهية شيء فلا يستحقون شيئًا من العبادة، ولا يملكون لعابديهم نفعًا ولا ضرًّا.

النوع الثاني: آيات فيها بيان أن مقصد المشركين من اتخاذ الشفعاء والأنداد التقريب والشفاعة وإبطال ذلك وأنه شرك بالله تعالى ونهيهم عن اتخاذ الأنداد وأمرهم بالتقرب إلى الله وحده وسؤاله الشفاعة وحده، وأن إصرارهم على الشرك وإعراضهم عن التوحيد هو الذي جعلهم مشركين كافرين مستوجبين للقتال والعذاب، فدلّت على أن حسن القصد، أو حسن الظن بالصالحين لا يبرر الشرك أو البدعة.

النوع الثالث: آيات فيها التصريح بأن المشركين عبدوا آلهة متنوعة من الملائكة والصالحين، ومن الطواغيت



والشياطين ومن القبور والتماثيل، ومن الأشجار والأحجار فاتفقوا على الشرك وتفرقت بهم سبله فيه؛ إذ تنوعت شركاؤهم وباؤا بسببه بالخسران وتأهلوا للخلود في النيران، ففنّدتْ شبهاتهم وبيّنتْ ضلالهم وشقاءهم وخسرانهم كي لا يتبعهم العقلاء على ما ضلوا فيه وهلكوا بسببه.

النوع الرابع: آيات فيها ذكر أن الصالحين الذين اتخذهم المشركون أندادًا من الملائكة والأنبياء والصالحين غافلون عن عبادتهم وسيتبرؤون من عابديهم يوم القيامة ويكفرون بعبادتهم فتنقلب عبادتهم لهم في الدنيا عداوة وحسرة وعذابًا يوم القيامة، وذلك كله من أنواع تفنيد الشبهات ورد الضلالات، وهداية المخاطبين واللاحقين للحق المبين.

النوع الخامس: آيات فيها نفي الشركاء والأولاد والأولياء والشفعاء عن الله تعالى وأن من زعم له سبحانه شيئًا من ذلك ما قدره حق قدره.

فهذه آيات محكمات، هي أصول في بيان معنى التوحيد وخصاله، وعظيم ثوابه، وبيان حقيقة الشرك، وأنواعه، وشؤمه، وسوء عقابه، ورد الشبه التي يستدل بها على تسويغ الشرك وغيره من الباطل، والرد على من جاء بها كائنًا من كان.

المقدمة العاشرة:

من فن الرد على الشبه:

الأول: معرفة حقيقة الشبهة ومقصود المستدل بها منها.

الثاني: معرفة هل الشبهة قديمة أو جديدة أو مزيج بينهما؟ حتى يُجدد أسلوب الرد، ويستفاد من نصوص الكتاب والسنة في إبطالها ومن ردود سلف الأمة الصالح على مثلها.

الثالث: التفريق بين الدليل الصحيح والاستدلال الباطل.

الرابع: البداءة بالرد الإجمالي على الشبهة بعمومها، ثم الرد المفصل، على كل جملة منها بخصوصها، ببيان شأن الأدلة ووجوه الاستدلال إحقاقًا للحق وإزهاقًا للباطل.

الخامس: تقديم المتفق عليه على المختلف فيه، ـ لإلزام الخصم ـ ثم تقديم ما هو أقل اختلافًا على ما هو أكثر اختلافًا.

*****



الفوائد على تفنيد الشبهات

الفائدة الأولى:

ما بعث الله تعالى به نبيه محمدًا ﷺ من الهدى ودين الحق اللذين هما العلم النافع والعمل الصالح رحمةً من الله تعالى لعباده.

فواجب على أهل العلم والإيمان أن يتذكروا:

١- أن هذا العلم رحمة من الله إذا قبلوه وعملوا به، فلا يعطاه ولا ينتفع به إلا رحيم يرحم به الناس، وحظه من الانتفاع بالعلم بحسب حظه من الرحمة، فكلما ازداد رحمة ازداد علمًا، فإن قبول العلم والعمل به لله تعالى والإحسان بتعليمه إلى الخلق من الرحمة للخلق، ومن أسباب رحمة الله لمعلم الناس العلم، وتثبيته على الحق، فهو رحمة من العالم للمتعلم لعظم إحسانه به إليه، والراحمون يرحمهم الله.

٢- وأن العلم كذلك رحمٌ بين أهله يبعثهم على التراحم، وأن يَعْلَمَ العالم المتعلم الرحمة، وأن يتذاكر العلم مع نظيره، ويقبل ما عنده من الحق ويناظره فيما عَلِمَهُ أخطأ فيه بعلمٍ ورفق؛ إظهارًا للحق وهدايةً للخلق، دون تكبرٍ وحسدٍ يحملانه على بطر الحق وغمط الخلق.

٣- وأن أهل العلم أولى بالتراحم فيما بينهم ومراعاة حق ذي الحق والتحلي بالأدب عند الخلاف، وعذر المجتهد من أهل الاجتهاد إذا أخطأ فيما أداه إليه اجتهاده ولم يُعلم منه قصد غير الحق.

٤- وأن هذا العلم يحض على أن يرحم الكبير الصغير، ويوقر الصغير الكبير، ويرفق العالم بالجاهل والمخالف؛ فإذا قصر أهل العلم في التراحم دل ذلك على تقصير منهم في العلم وحقه.

الفائدة الثانية:

تعريف التوحيد:

التوحيد لغة: مصدر وحّد الشيء يوحده توحيدًا، ووحد الشيء أفرده، أي جعله واحدًا، ووحد الله تعالى قال: «لا إله إلا الله»، أي: جعله واحدًا، أي: فردًا فيما هو مختص به، أي: في اسمه ووصفه وفعله وحقه على خلقه، أي: اعتقده منفردًا في ذلك.

والتوحيد شرعًا: هو إفراد الله تعالى بأفعال الربوبية والأسماء الحسنى والكمال في الذات والصفات والأفعال، وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين فيما هو من اختصاصهم، واعتقاد أنه الإله الحق المعبود بالحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا يستحقها أحد سواه، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، والبراءة من الشرك وأهله.





الفائدة الثالثة:

الرسل: جمع: رسول، **وهو لغة**: من بعث برسالة.

والرسول شرعًا: هو إنسان حر ذكر أُوحِيَ إليه بشرع، وأُرسل إلى قوم كافرين، أو لم تبلغهم رسالة سابقة، فإنْ أُرسل إلى قوم مؤمنين برسالة سابقة أو لتجديد شرع سابق فهو نبي، وقد يُنزل على الرسول كتاب جديد، وقد يؤمر بالحكم بكتاب أُنزل على من قبله، وقد يكون الأمران.

الفائدة الرابعة:

محمد ﷺ هو رسول الله إلى الناس كافة وخاتم النبيين، وبختم النبوة خُتمت الرسالة فلا يبعث نبي ولا رسول بعده ينسخ دينه وشريعته، فهو ﷺ خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين وسيد الآدميين، ودينه آخر الأديان، ودينه الإسلام، وهو الدين الحق الذي لا يقبل دينًا سواه، وشريعته ناسخة للشرائع قبلها وهي للناس كافة، وباقية حتى يأتي الله بأمره.

ولا ينافي ذلك ما صحت به الأخبار من نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان، فإنه لا يأتي بشرع جديد، وإنما يحكم بدين الإسلام، ولا يقبل دينًا سواه، فهو خليفة للنبي ﷺ في أمته يسوسهم بدينه نيابة عنه عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

الفائدة الخامسة:

أخبر النبي ﷺ أن الله تعالى نبأه، أي: أرسله، بأن يوحَّدَ الله وتكسَّر الأوثان، وقد دعا النبي ﷺ إلى توحيد الله حتى دخل الناس في دين الله، وكان الدين كله لله.

وقد كسَّر النبي ﷺ الأصنام التي كانت حول الكعبة وذلك عام فتح مكة شرفها الله سنة ثمان من الهجرة؛ حينما كان ينكتها بقوسه وهو يطوف بالكعبة فتخر على وجوهها، ولما دخل الكعبة غسل الصور الموجودة في داخلها حتى أزال معالمها، وبعث جماعة من أصحابه لكسر الأوثان والأصنام المتخذة آلهة عند قبائل متفرقة من العرب؛ كالعزى، واللات، وذي الخلصة، ونحوها.

الفائدة السادسة:

إنما كان شرك المشركين الأولين باعتقاد إلهية بعض الخلق والتوسل بالتماثيل والأوثان، وتعظيمها بصرف شيء من عبادة الله لها؛ من طلب البركة والذبح والنذر لها والعكوف عندها، ونحو ذلك من العبادات التي هي محض حق الله تعالى، فلا تصلح إلا له، فكانوا يعظمون معبوداتهم بذلك ويتقربون إليها لاعتقادهم أنها تُوصَلُ إلى الأرواح التي تصعد إلى الملأ الأعلى فَتُوصِل طلباتهم وحوائجهم التي يريدونها إلى الله خالقهم ومالكهم ومدبرهم، ـ ويزعمون أن الله ـ يستجيب لهذه الوساطة فيقضي الحاجة.

فكانوا يتوسلون لحاجاتهم إلى الله تعالى بأمرين:

١- بصور الصالحين وتماثيلهم إلى أرواحهم.

٢- بالأوثان إلى الأرواح التي تحل فيها ـ بزعمهم وظنهم ـ، ثم تصعد إلى الله تعالى.



الفائدة السابعة:

بُعث النبي ﷺ في قوم مقرين لله تعالى بأفعال الربوبية من الخلق والملك والتدبير، وبجنس توحيد الأسماء والصفات؛ كالرب، الله، الرحمن، العزيز، العليم؛ يدعوهم إلى أن يوحدوا الله في إلهيته، ويخلصوا له في عبادته، فكان التنزيل الحكيم يقررهم بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، ويطالبهم بلازمهما ومقتضاهما، وهو أن توحيد الله تعالى بالإلهية والعبادة ويقيم الأدلة على إلهية الله تعالى واستحقاقه العبادة ويفند شبهاتهم بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة، ولما لم يستجيبوا له وأعرضوا عن دعوته شرع الله تبارك وتعالى قتالهم وأحل سفك دمائهم وسبي حريمهم وذراريهم وأموالهم لكفرهم وشركهم.

الفائدة الثامنة:

شرك المتأخرين ـ من المنتسبين للإسلام ـ في الإلهية والعبادة هو الذي يسمونه «اعتقادًا»، فيقولون: فلان فيه عقيدة، ويعنون أنه يصلح أن يعتقد فيه ـ أي: أنه ينفع ـ، وإذا قالوا في حق شخص: «سيد»، أو أن له سرًّا، فكثير منهم يعنون به أنه يصلح لأن يوسط بين من يعتقد فيه السيادة وبين الله، وأن الاعتقاد فيه ينفع إذا تشبث به، وطلب منه أن يطلب لهم من الله حوائجهم، فيقصدون بالسيد والولي أنه يصلح للالتجاء إليه، وينفع إذا اعتقد فيه الشفاعة عند رب العالمين، وأنه يفيض عليهم من بركته، وهذا بعينه هو شرك الأولين الذين تعلقوا بالصالحين لطلب الشفاعة والتقريب.

فحقيقة دين المتأخرين الغلاة في أئمتهم وشيوخهم ومن يعظمونه منهم أمران:

أحدهما: أنهم يعتقدون فيمن يزعمون أنه سيد أو ولي نفس ما يعتقده أهل الجاهلية في الأصنام والأوثان من قضاء الحاجة والشفاعة والتقريب.

الثاني: أنهم زُيِّن لهم سوء عملهم فزعموا أن ما هم عليه من الشرك ـ الغلو فيمن يعظمونه حتى يعطوه خالص حق الله من الدعاء والحب والذل وغيرها من أنواع الشرك الجلي والخفي ـ دين يحبه الله تعالى، وهو أبغض شيء إليه، وأعظم ذنب عُصي الله به، ومن هذا شأنه فإنه يبعد أن يتوب من أمر يعتقده دينًا وقربة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨].

الفائدة التاسعة:

الحاجة بل الضرورة في كل زمان ومكان داعية إلى دعوة العباد إلى توحيد ربهم سبحانه في اعتقاداتهم وأقوالهم وأفعالهم، فإنه أساس الملة، وقاعدة الشريعة، وعنوان الدخول في الإسلام وشرط قبول العمل، وسبب النجاة من النار ودخول الجنة، وثمراته كثيرة وفضائله كبيرة، وقد وقع كثير من الناس فيما ينقص كماله الواجب، أو يقدح فيه ويخل به، وبعضهم وقع فيما يضاده ويناقضه أو لم يعرف التوحيد؛ بل هو معرض عنه ومستكبر عن الاستجابة للداعي إليه.

الفائدة العاشرة:

العلم بالتوحيد هو أصل الاعتقاد، والعمل به هو أصل الملة، وهو خلاصة رسالات المرسلين والنبيين، وزبدة الكتب المنزلة من رب العالمين، فلا شيء يعدل العلم بالتوحيد والعلم به ومعرفة ضده، والاستجابة لأمر الله تعالى بتوحيده، وتحقيقه قولًا واعتقادًا وعملًا وطاعة لله تعالى، والنهي عن ضده وتركه والبراءة منه ومن أهله.



الفائدة الحادية عشر:

أ- سبق التنبيه على أن المشركين الأولين يعتقدون في أوثانهم وتماثيلهم أنها تحل فيها أرواح صالحة، وأن تلك الأرواح تصعد إلى الله فتبلغه حاجاتهم وتتوسط لهم عنده.

ب- وأما شرك المتأخرين من المنتسبين إلى الإسلام فهو ما يعتقدونه فيمن يسمونهم السادة أو الأولياء، وهو أن فيه السر، أي: هو الذي يقصد لأجل التوسط، وبيده الإعطاء والمنع، ولهذا يقولون عنه: قدس الله سره، ذلك لأنهم يجعلون لروحه سرًّا؛ حتى إن بعضهم يجعل لهؤلاء السادة نصيبًا في الملك من جهة التفويض، أي: حيث إن الله تعالى جعل لهم شيئًا من التصرف في الملك وعلم الغيب، فجعلوهم شركاء لله في الربوبية مع شركهم في الإلهية.

الفائدة الثانية عشر:

تعريف الشرك:

الشرك لغة: من الشركة، وهي الخلطة في الشيء، أي: جعل الشيء خُلطة بين إثنين فأكثر، فالشرك في العبادة جَعْلُهَا خلطةً بين الله تعالى وأحد من خلقه.

والشرك شرعًا: هو تسوية غير الله بالله في ما هو من خصائص الله، كما قال الله تعالى عن أهل الجحيم: ﴿ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٦-٩٨].

وهو نوعان:

أ- **شرك أكبر**: وهو دعوة غير الله معه، أو صرف شيء من عبادته ـ من سجود أو نذر أو ذبح أو غيرها ـ لأحد من خلقه، **وهو نوعان:**

الأول: شرك ظاهر جلي: مثل دعاء غير الله، أو الركوع والسجود لغير الله، أو الذبح لغير الله، أو النذر لغير الله.

الثاني: شرك باطن خفي: كالخوف من غير الله من ميت أو غائبٍ.

ب- **شرك أصغر**: وهو ما كان ذريعة إلى الأكبر، أو جاء في النصوص تسميته شركًا ولم يصل إلى حد الأكبر، **وهو نوعان:**

١- **شرك خفي**: مثل: يسير الرياء.

٢- **شرك جلي**: مثل قول: (ما شاء الله وشئت)، والحلف بغير الله لفظًا بغير قصدِ تعظيم المحلوف به من دون الله.

الفائدة الثالثة عشر:

الشرك في الحاكمية مصطلح جديد يراد به الحكم بغير الشرع أو التحاكم إليه، وهو خطير وشؤمه كبير، وزعم بعض المعاصرين أنه أول ما يجب إنكاره، وجعلوا إنكاره مبررًا لخلع بيعة الحاكم أو الخروج عليه، وقدموا

العناية بإنكاره على العناية بإنكار الشرك في الإلهية وعبادة القبور.

وهذا خطأ لأمور:

الأول: أنه أثر من آثار الجهل بتوحيد الإلهية والعبادة، أو الإعراض عنه، أو ضعفه في القلب.

الثاني: أنه كان موجودًا في عهد البعثة، ولم تكن الدعوة إليه ولا المناظرة فيه قبل توحيد الإلهية والعبادة.

الثالث: أن جملة ممن حكموا بغير الشرع ممن ينتسب إلى الإسلام إنما يحكم به لنوع شبهة أو شهوة، أو لكونه مغلوبًا على أمره ممن هو أكبر منه، وهذا من قبيل كبائر الذنوب لا المكفرات، لأنه وإن وجد مقتضى التكفير فقد يوجد مانع، وتكفير الشخص المعين يحتاج إلى اكتمال أحكامه.

الرابع: يكون الحكم بغير الشرع كفرًا أكبر في أحوال منها:

أ- إذا استحله معتقدًا أنه مثل الشرع أو أحسن منه، أو أنه يسوغ الحكم به.

ب- إذا سن القوانين الوضعية، وألزم بها وحماها.

وبهذا يتبين أن لكل شخص حالةً، ولكل حالةٍ حكم.

الخامس: أن غالب الذين تكلموا في شرك الحاكمية وشددوا فيه يُلحظ عليهم تقصير أو تفريط في العناية في الدعوة إلى توحيد الإلهية والعبادة، وإنكار الشرك والبدع الموصلة إليه، وأنهم ربما صانعوا خصومهم المعظمين للقبور والمقبورين تعظيمًا يصل إلى حد التألهية والعبادة، ومن الجافين المفرطين إلى حد الإلحاد وترك الدين إذا حصل لهم ما يريدون من أمور الدنيا.

السادس: أن الدعوة إلى ما يسمى بتوحيد الحاكمية صارت مشوبة بشيء من حظ النفس، ومن الهوى وشهوة منازعة الحكام لذات الحكم، كما هو ظاهر من كلام المعنيين بذلك والمنظرين له.

الفائدة الرابعة عشر:

وجوب العلم بمعنى لا إله إلا الله ومقتضاها وما يلزم لها، وأنه العلم والاعتقاد بتفرد الله بالإلهية واستحقاق العبادة، ومقتضاها: إخلاص العبادة له والبراءة من الشرك وأهله.

الفائدة الخامسة عشر:

وجوب معرفة خطر الشرك ووجوب الخوف منه؛ لأنه أكبر الكبائر وأعظم المهلكات، فإنه يخرج من الملة، ويحبط العمل، ويحرم على من مات عليه المغفرة والجنة ويخلده في النار؛ لذا وجب الخوف منه والبعد عن مواطنه ووسائله وأهله وحماه، وشدة الحذر من كل ما يؤدي إليه، وهذا يقتضي العناية بمعرفته ومعرفة وسائله.

الفائدة السادسة عشر:

وجوب معرفة دين الإسلام الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا، والدين الذي جاء به النبي ﷺ:

١- فالإسلام العام الذي جاءت به جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم عليهم الصلاة والسلام هو

الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، فهو مشتمل على تحقيق التوحيد لله تعالى، وخلع الأنداد والكفر بالطاغوت.

٢- والإسلام الخاص الذي جاء به النبي ﷺ، فهو:

أ- الإسلام العام الذي جاء به من سبقه من النبيين والمرسلين؛ لكنه ﷺ أكملهم فيه.

ب- والشريعة الخاتمة التي جاء بها عليه الصلاة والسلام، فهو إسلام من جهتين:

جهة العقيدة: فالإسلام الذي جاء به النبي ﷺ أتم توحيدًا، وأكمل استسلامًا، وأظهر في الولاء والبراء.

جهة الشريعة: وهي الشريعة المخصوصة ـ التي جاء بها النبي ﷺ ـ العامة لجميع المكلفين إلى أن يأتي الله بأمره، المحفوظة بحفظ الله لها، فلا تنسخ ولا تبدل، من حين نزولها إلى آخر الدهر، المتميزة باليسر والسماحة والشمول لكافة أمور الحياة والبراءة من الآصار والأغلال، والصالحة والمصلحة للناس من حين جاءت وإلى أن يأتي الله بأمره، فلا يقبل الله دينًا غيره.

الفائدة السابعة عشر:

إن الفرح بمعرفة التوحيد وتحقيقه والسلامة من ضده من الفرح المشروع؛ لأنه من الفرح بفضل الله ورحمته، وهما أعظم مفروح بهما، فإن أعظم النعم الهداية للإيمان ظاهرًا وباطنًا، والفرح بالتوحيد من أسباب الثبات عليه،والعناية بتكميله والحذر من نواقضه.

الفائدة الثامنة عشر:

الأمور التي توقع صاحبها في الكفر والشرك، أو تحمله على الإصرار عليهما، ومعاداة من دعا إلى التوحيد متنوعة، منها:

أ- الإعراض عن فهم الحق وتعلمه مع الحاجة إليه، وهو صفة أهل الجفاء، وأخلاق النصارى، والمسلم منهيٌّ عن التشبه بهم، والتعرض لوعيدهم.

ب- معرفة الحق وترك العمل بالواجب منه وهو من الكبر والعناد الذي غضب الله على اليهود بسببه، ولعنهم، وجعل منهم القردة والخنازير، وَعَبَدَ الطاغوت، وقال عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة:٦٠].

ج- إقدام بعض الناس على ترك ما يجب عليه من الحق خوفًا من ملامة، أو طلبًا لجاه أو دنيا، وهذا نوع من النفاق كفَّر الله أهله، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، والإكراه إنما يكون على القول والفعل، لا على عقيدة القلب، فإن الله تعالى قد كفَّر قومًا في آخر سورة النحل بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فدل على أن إيثار الدنيا قد يكون كفرًا، وإن لم يكن مستحبًا للكفر؛ بل لكونه مستحبًا للحياة الدنيا.

د- ومن الناس من يكفر بكلمة يتفوه بها لا يلقي لها بالًا يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب؛ كالذي يتألى على الله، أو يعترض بها على قدره، أو يقول كلمة ينتقص بها الدين وأهله هازلًا أو مازحًا؛ لينال حظوة عند سلطان، أو شهرة بين الناس، أو شيئًا من حطام الدنيا، أو ليحافظ على منزلته ومنصبه.

هـ- ومن الناس من يكفر بعد إيمانه من غير إكراه؛ لخوفٍ متوهمٍ أو مداراةٍ لمعظم، أو مَشَحَّةٍ في مالٍ أو ولدٍ أو وطنٍ أو عشيرةٍ؛ فيداهن الكفار على كفرهم من أجل ذلك.

ثانيًا: اقتضت حكمة الله تعالى أن يبتلي أهل التوحيد بأعداء من شياطين الجن والإنس لحكم كثيرة، وغايات محمودة، منها:

١- أن يتبين أن الله تعالى اختار أولياءه الذين يستحقون فضله وكرامته على علم ليقينهم وثباتهم على الحق.

٢- أن يظهر الله الفرقان بين أهل الحق وأهل الباطل بشيء بشري وليس سماوي، هذا هو الأصل، وقد ينعم الله بشيء من عنده من السماء كتأييد بملائكة، أو شيءٍ كونيٍ لا سبب للعبد فيه، ونحو ذلك من كرامات الأولياء التي هي فرع وأثرٌ عن تصديقهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٣- أن يجعل الله تعالى أهل الحق قدوةً لمن بعدهم في صبرهم على الحق مع كثرة الشُّبه.

الفائدة التاسعة عشر:

ينبغي للعالم والداعية إلى الله تعالى أن يعرف حال الخصوم، وما عندهم من العلوم والحجج التي قد يوردونها عليه حين دعوته لهم للحق من أجل الاستعداد لمناظرتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن للرد عليهم بسلاحهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [غافر:٨٣].

ولما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب**...الخ»، فمن هدي القرآن والسنة معرفة ما عند الخصوم من العلم والشبه والاستعداد لمناظرتهم طلبًا لهدايتهم وإقامة الحجة عليهم.

فيحتاج طالب العلم والداعية إلى الله تعالى إلى أمور:

الأول: أن يفهم ما عند أهل الباطل من العلم والحجج التي يشبّهون بها حتى يرد عليهم.

الثاني: أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يظهر بها الحق ويقيم بها الحجة على الخصم.

الثالث: إذا كان الخصوم يتكلمون بغير لسانه؛ فإن تيسر له معرفة لسانهم فليحرص عليه؛ ليعرف مصطلحاتهم، وليباشر مناظرتهم بلا ترجمان.

الفائدة العشرون:

أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أصناف:

أ- **أهل رئاسة دنيوية:** فيحتاجون إلى مداراة ما أمكن حتى يُستمالوا إلى الحق، أو يوصل إلى أتباعهم من الخلق.

ب- **أهل فكر ودين:** وهؤلاء يحتاجون إلى مناظرة بغاية من التلطف لكشف شبهاتهم وتفنيد افتراءاتهم دعوة لهم وإزهاقًا لباطلهم وهداية لمن حولهم، وهؤلاء يحتاجون إلى الصبر على أذاهم، ومن المهم اتقاء الطعن في معظّميهم ما أمكن اتقاءً لشرِّهم.

ج- **رعاع معرضون عن الحق**، ومتعصبون لأحد الفريقين عصبية جاهلية، فهؤلاء إذا دُعوا وبين لهم الحق فلم يقبلوا فيُعرَض عنهم، ولا يخاض معهم في حوار أو مناظرة لجهلهم وسفههم وغلوهم فيمن يعظمون، وسوء أدبهم مع من يدعوهم.

الفائدة الحادية والعشرون:

يحتاج المتصدي لتعليم الناس ودعوتهم إلى الحق إلى أمرين:

الأول: علم يدفع به الشبهات.

الثاني: ورع يدفع به الشهوات.

ومتى ما دخل ميدان الخصومة والمحاجة بغير هذين السلاحين كان على خطر أن يفتن في دينه، وأن يزيد طغيان خصمه وفتنته بما هو عليه من باطله وضلاله ويطمعه في فتنة الناس.

الفائدة الثانية والعشرون:

من فهم توحيد الله تعالى علمًا وعملًا وعقيدة وبراءة، وصبر لله واستهدى الله واستعانه وأكثر ذكره؛ فإنه يغلب أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين بالحجة في المناظرة والسلاح عند المقاتلة فينصره الله عليهم في شتى الميادين، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر:٥١]، قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[القمر:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:١٧١-١٧٣].

الفائدة الثالثة والعشرون:

جعل الله تعالى القرآن وما علَّمه نبيه ﷺ من بيان تبيانًا لكل شيء، وهدى للتي هي أقوم، فلا يأتي مبطل بحجة إلى وفي الوحي المطهر كشفها والجواب عليها، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣]، فإن الله تعالى قد عصم نصوص الكتاب والسنة من أن تدل على باطل، أو تؤيد مبطلًا على باطله، فلا يستدل بها مبطل على باطله إلا وهي عليه لا له، ولكن الناس يتفاوتون في إدراك ذلك.

الفائدة الرابعة والعشرون:

من شأن الذين في قلوبهم زيغ أنهم يتبعون ما تشابه من التنزيل، يستدلون به على باطلهم، ويشبهون به على أهل الحق رغبة في التضليل، فإذا استدلوا بشيء من نصوص الوحيين على الشرك أو الباطل، فينبغي لصاحب الحق أن يرد ذلك، فمثلًا لو أورد مبطل شبهةً أن الأولياء والصالحين لهم ولاية أو شفاعة أو جاه تسوغ التعلق بهم ودعاءهم من دون الله، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢]، وحديث: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**».

فينبغي لصاحب الحق أن يرد ذلك بأمرين:

الأول: أن يقول: أنا لا أعلم وجه دلالة الأدلة التي ذكرت على دعاء الأولياء والتعلق بهم من دون الله؛ بل أُنكر ذلك وأبرأ منه.

الثاني: أن الله تعالى أنزل القرآن للدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، وهو لا يناقض بعضه بعضًا، وبعث نبيه ﷺ يدعو إلى أن يُوحد الله، وتُكسر الأوثان، فالقرآن والسنة يهديان إلى توحيد الله والإخلاص ضد ما تدعوا إليه من الشرك والتعلق على غير الله، وكلاهما حق، ووجه استدلالك بالآية على ما تدّعي لا أفهمه.

وهذا جواب محكم مبني على الكتاب والسنة، لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه، وهو جواب لأي شبهة يوردها أحد يريد أن ينتصر لباطل أو يشبه بها على أهل الحق.

الفائدة الخامسة والعشرون:

أولًا: ما يفعله بعض الجاهلين وأشباههم عند قبور الصالحين من الدعاء والذبح والنذر ونحو ذلك شركٌ بالله تعالى، من وجوه:

الأول: أن العبادة حق لله تعالى، وهذا متفق عليه بين الخصمين.

الثاني: أن العبادة هي طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ بفعل ما أمر الله به العباد وترك ما نهاهم عنه إذا أديت على الوجه الذي شرع خالصًا لله تعالى.

الثالث: أن من أنواع العبادة التي تجب طاعة الله ورسوله فيها، الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، فكل هذه يجب إخلاصها لله تعالى، ولا يجوز أن يشرك معه فيها غيره، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فقد أشرك.

الرابع: فكذلك الدعاء والذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة كلها عبادات يجب إخلاصها لله تعالى، ولا يجوز أن يتوجه بشيءٍ فيها إلى أحد سواه كائنًا من كان.

الخامس: المشركون الذين نزل فيهم القرآن كانوا يعبدون الملائكة والنبيين والصالحين، وما كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح والنذر والالتجاء لطلب الجاه والشفاعة، وإلا فقد كانوا مقرِّين لله تعالى بالملك والتدبير وحده، وأن هؤلاء الذين يدعونهم معه عبيده لا يدبرون معه من ملكه شيئًا.

الفائدة السادسة والعشرون:

أولًا: شرك الغلاة من المسلمين في الصالحين أغلظ من شرك الجاهليين الأولين، من وجوه:

أحدها: أن شرك الأولين في الرخاء فقط، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وشرك المتأخرين في الرخاء والشدة؛ فشرك الأولين أهون، والكل خطير.

الثاني: أن الأولين يشركون بأناس صالحين، أو مخلوقات غير عاصية، وهؤلاء يشركون بالطواغيت والفجرة ومن لا يعرفون حاله، فالأولون أعقل من المتأخرين.

الثالث: أن الأولين مقرّون بأنهم مقلدون في شركهم لآبائهم وأسلافهم، ولم ينسبوا شركهم إلى ربهم، وأما



المتأخرين اعتقدوا أن شركهم دين يحبه الله، ولذا يتقربون إليه به، ومن هذا شأنه فإنه لا يتوب من ضلاله؛ إذ كيف يتوب من أمر يعتقده دينًا يقربه من الله تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ ﴾ [فاطر:٨]، ويقول: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾[الكهف:١٠٣-١٠٤].

الرابع: أن المتأخرين في حقيقة أمرهم يعظمون من يعتقدون فيه السر ويتعلقون به من أجل ذلك تعظيمًا لا يليق إلا بالله تعالى، فإنهم في الحقيقة جعلوهم مقصودين من دون الله، والأولون جعلوهم وسائط إلى الله ومقصودين معه، فشرك المتأخرين أغلظ، والكل غليظ وإثم عظيم وضلال مبين.

الخامس: أنهم اعتقدوا أن توحيد الله تعالى وإفراده بحقه جفاءً للصالحين فأنكروا على من يدعوهم إليه؛ فغاروا ـ كما زعموا ـ على حق الصالحين، ولم يغاروا على حق رب العالمين.

الفائدة السابعة والعشرون:

أنه لابد أن يكون الشخص موحدًا باعتقاده وقوله وعمله، وهذه هي الفائدة العظيمة، وأنه لا يكفي التوحيد بالقلب ـ كما زعموا ـ؛ لوجوه:

١) أن من زعم أنه موحد بقلبه، وهو لم يوحد بقوله وعمله فهو غير صادق، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل، لقوله ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها الجسد، وإذا فسدت فسد لها الجسد كله**».

٢) أن توحيد القلب لله تعالى بالربوبية هو توحيد فرعون الذي استيقن قلبه صدق موسى وأحقية ما جاء به، لكنه أصّر وعاند، وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية حتى أهلكه الله، ومن معه ملعونين في الدنيا مقبوحين في الآخرة، ومن أهل النار وبئس القرار.

٣) أن الواجب على الصادق في توحيد قلبه أن يلتمس رضى الله ولو سخط الناس، لا أن يلتمس رضى الناس ولو سخط الله، حتى لا يكون من أهل الباطل القائلين: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الزخرف:٢٢].

*****



الرد على شبه المخالفين

إن قال لك أحد:

(الصالحون لهم عند الله جاه، وأنا أطلب من الله بجاههم).

فقل له:

الوجه الأول: أن الذين قاتلهم النبي ﷺ،كانوا يريدون من الصالحين الشفاعة والجاه، فلم يدخلهم النبي ﷺ في الإسلام؛ بل حكم عليهم بالشرك، وقاتلهم حتى اهتدى من اهتدى، وهَلَك من هَلَك، فدل ذلك على أن طلب الشفاعة من الأموات والغائبين شرك أكبر لا يعد صاحبه من المسلمين؛ بل هو مشركٌ حلال الدم والمال إن لم يتب من شركه.

الوجه الثاني: الصلاح أمر متعلق بالقلوب فلا يجوز القطع والجزم به لأحد معين إلا بتوقيف من الله ورسوله.

الوجه الثالث: لو تحقق صلاح شخص معين بالدليل القطعي فإن الله تعالى لم يأذن لنا بسؤاله بصلاحه؛ بل النصوص متواترة بالمنع من التوسل بوسائل لم يشرعها الله تعالى.

فإن قال لك:

(إن الآيات والأحاديث التي فيها ذم المشركين ووعيدهم إنما نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام فلسنا بمشركين).

فقل له:

إن الكفار الذين بعث فيهم النبي ﷺ لدعوتهم إلى الإسلام، فدعاهم إليه وقاتل من لم يسلم منهم كانوا متفرقين في عباداتهم ومعبوداتهم، فمنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالحين كالعزير والمسيح واللات وودًّا وسواعًا وغيرهم، ومنهم من يعبد الأوثان من الأشجار والأحجار، فلم يفرق النبي ﷺ بينهم من أجل تنوع معبوداتهم، ولم يخص من يعبد الصالحين بعذر أو تكريم دون من يعبد الأصنام والأوثان؛ بل كفرهم جميعًا من أجل شركهم، وقاتلهم حتى قتل من قتل منهم ودخل الإسلام من دخله.

فإن قال لك:

(إن طلب الشفاعة من الأولياء ليس بشرك؛ بل هو اعتقاد فيهم وحسن ظن بهم).

فقل له:

أن هذا بعينه قول الكفار واعتقادهم في معبوداتهم، قالوا ما حكى الله عنهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨]، وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، فكان الذي حملهم على التعلق بآلهتهم ـ بزعمهم ـ تعظيمهم وحسن ظنهم بهم وطلبهم الشفاعة لهم من رب الجميع، وقد كفَّرهم الله ورسوله بذلك، وأحل دماءهم وأموالهم وذراريهم من أجل ذلك القول وما أتي عليه من اعتقاد فاسد وعملٍ باطل.

فإن قال لك:

(أنا لست بمشرك لأني لا أعتقد فيهم شيئًا من معنى الربوبية).

فقل له:

١) أن يُبيِّن له معنى الشرك في القرآن والسنة، وأن حقيقة الشرك دعوة غير الله تعالى معه، أو صرف شيء من حقه لأحد من خلقه، وتسوية غيره به فيما هو من خصائصه.

٢) أن يذكر له حال المشركين الذين نزل فيهم القرآن، وإقرارهم لله بالربوبية، ولكن أنكروا تفرد الله تعالى بالإلهية وأبوا عن الإخلاص له في العبادة بإفراده بها؛ فصاروا بذلك مشركين كافرين بالتوحيد.

٣) بيان مرادهم بالتشفع بالمشركين والتوسل بهم، وأنهم ما أرادوا ممن دعوهم من دون الله تعالى إلا الشفاعة والتقرب إلى الله زلفى، وهذا شركهم الذي أحل دماءهم وسائر حرماتهم حين لم ينتهوا عنه.

٤) أنهم مقرّون بأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر، ولكن لم ينفعهم ذلك مع شركهم في العبادة.

فإن قال لك:

(إن الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم والذبح والنذر لهم والاستعانة والاستغاثة بهم ليست عبادة لهم).

فقل له:

أولًا: أن نصوص الكتاب والسنة قد دلت على أن هذه الأعمال عبادات، وذلك بالأمر بها وإخلاصها لله والثناء على من تعبد لله بها، ووعده بالفوز العظيم والأجر الكريم، ووصف من صرف منها شيئًا لغير الله بالشرك والكفر، ووعيده بغضب الله وسخطه وعقابه؛ فتبين من ذلك أن التوجه بشيء من هذه العبادات إلى الصالحين عبادة لهم وإشراك لهم مع الله فيما هو من حقه.

ثانيًا: أن عملهم هذا بعينه هو شرك المشركين الذين كفَّرهم النبي ﷺ وقاتلهم من أجله.

ثالثًا: أن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان قد أجمعوا على كفر من سجد لغير الله أو استعان بمخلوقٍ فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأفتوا بقتله لردته.

فإن قال لك:

(إن إنكار طلب الشفاعة من الرسول ﷺ وغيره من الصالحين بعد موتهم إنكار لشفاعتهم، وتنقص لهم).

فقل له:

١- أن الشفاعة ملك لله وحده؛ لقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

٢- وأنها لا تكون من أحد من الشافعين لأحد إلا من بعد إذنه تعالى للشافع ورضاه عن المشفوع له، وهو لا يأذن إلا لأهل التوحيد.

فطلبها من غير الله تعالى شرك، وهو سبب الحرمان منها يوم القيامة، فإن الشفعاء المشفعين عند الله تعالى لا

يشفعون يوم القيامة إلا لأهل التوحيد فلا حظ في هذه الشفاعة لمشرك؛ لقوله ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله؛ خالصًا من قلبه**».

فإن قال لك:

(إن الالتجاء إلى الصالحين ليس شركًا؛ فالملتجئ إليهم ليس مشركًا).

فقل له:

بالتحدي بأن يسأل عن الشرك ما هو؟ والعبادة ما هي؟

أ- فإن لم يعرفهما فكيف يتكلم بما لا يعلم.

ب- وإن عرفهما بمعناهما الشرعي تبين بطلان قوله، إن الالتجاء إلى الصالحين ليس شركًا.

ت- وإن عّرفهما بما يخالف الشرع عُرّف معناهما الحق، وُبيِّن له، فإن قبل وإلا حكم بشركه.

فإن قال لك:

(الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام).

فقل له:

الأول: أن الشرك ليس هو عبادة الأصنام فقط؛ بل منه عبادة الصالحين والأشجار والأحجار وغيرها.

الثاني: أن يُسأل ما المقصود بعبادة الأصنام؟

أ- فإن قصد أنها تخلق وترزق وتدبر؟ فهذا ليس صحيحًا، بدليل أن المشركين كانوا يقرون لله تعالى بالخلق والرزق والتدبير فلم ينفعهم ذلك.

ب- أما إن قصد الأشجار والأحجار والنباتات والقبور بالدعاء عندها والذبح لها بدعوى أنها تقرب إلى الله زلفى، ويدفع الله عنهم المكروه ببركتها، فهذا هو التفسير الصحيح لعبادة المشركين للأوثان والأصنام، هو نفسه فعل القبوريين والخرافيين ـ في هذا العصر ـ والذي صاروا به مشركين.

فإن قال لك:

(إن الذين قاتلهم النبي ﷺ لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وكذبوا الرسل، وأنكروا البعث، ونحن نشهد أن لا إلا الله ونؤمن بالرسل، والبعث، ونعبد الله..الخ، فما دام الداعي مع الله تعالى غيره يشهد أن لا إله إلا الله فإنه لا يكفر بدعائه أحد من دونه).

فقل له:

أولًا: أن الله تعالى قد كفر أقوامًا مع النبي ﷺ كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويؤمنون بالبعث، وشهد الله لهم بالإيمان قبل ذلك، لكن كفرهم لمقالة قالوها في حق النبي ﷺ وأصحابه.

ثانيًا: إجماع الصحابة رضي الله عنهم على قتال أصحاب مسيلمة الكذاب، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله من أجل تصديقهم لمسيلمة بأنه رسول الله.

ثالثًا: اتفاق علي رضي الله عنه والصحابة رضي الله عنهم معه على قتل الذين سجدوا لعلي غلوًّا فيه وقالوا: أنت هو، يعنون أن عليًّا هو الله تعالى، فأجمع الصحابة على كفرهم بذلك ووجوب قتلهم، وقتلوهم.

رابعًا: إجماع العلماء على كفر من كذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والمشرك الذي يدعو غير الله جاحدًا لأعظم شيء جاء به النبي ﷺ، وهو التوحيد.

خامسًا: إجماع العلماء من كل مذهب على أن من جحد البعث كفر وحل دمه وماله، ولو شهد أن لا إله إلا الله، وهكذا من كذب أحدًا من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فكيف يكفر من جحد شيئًا من هذه الأشياء الواجبة، ولا يكفر من جحد التوحيد الذي هو أصل الواجبات وأعظمها وشرط قبولها.

سادسًا: إجماع المسلمين على كفر بني عبيد القداح (الفاطميون) الذين حكموا مصر بعد القرون المفضلة لما أظهروا مخالفة الشريعة، وارتكبوا بعض الكفريات، فكفَّرهم المسلمون بذلك؛ مع أنهم كانوا يتكلمون بالشهادتين ويدعون إلى الإسلام.

سابعًا: ما ذكره العلماء من كل مذهب ـ في باب حكم المرتد ـ في كتب الفقه، فقد ذكروا أمورًا كثيرة يكفر بها الشخص ويحكم بردته بسببها، ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وصلى وصام.

فإن قال لك:

(أنكر النبي ﷺ على من قتل رجلًا بعد أن قال: لا إله إلا الله).

فقل له:

الأول: أن النبي ﷺ قاتل اليهود والنصارى وسبى نسائهم وذراريهم وأموالهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله.

الثاني: اتفاق الصحابة على قتل أتباع مسيلمة الكذاب، وقتل الذين سجدوا لعلي رضي الله عنه؛ مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله.

الثالث: أن هؤلاء الخرافيين مقرُّون أن من جحد البعث كفر ولو قال: لا إله إلا الله، فكيف لا يكفر من جحد التوحيد، وهو أصل دين الرسل.

الرابع: أما حديث أسامة، فالجواب عليه: أن المشرك إذا قال: لا إله إلا الله، فإنه يُرفع عنه السلاح للحكم بإسلامه ظاهرًا؛ حتى يتبين منه ما يخالف مدلولها، فإن تبيَّن منه ما يخالف مدلولها قتل مرتدًا؛ لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

الخامس: وأيضًا فإن الذي قال: «**أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟**» هو الذي قاتل اليهود والنصارى، وأمر بقتل الخوارج؛ فتبين أن المراد من لا إله إلا الله معناها ـ وهو التوحيد ـ لا مجرد لفظها، فمن أظهر ما يناقض ما دلت عليه من التوحيد ونفي الشركُ كفَر وقتل إن لم يتب، ولو قالها ألف مرة؛ لما سبق من الأمثلة.

فإن قال لك:

(**من قال: لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل، ولو فعل ما فعل**»، ويستدلون بأحاديث مثل: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**).

فقل له:

أنه تقدم ـ في أجوبة الشبه السابقة ـ أن مجرد قول هذه الكلمة لا يمنع من التكفير، فقد قالها أناس كثير وكفرهم الصحابة رضي الله عنهم، إما لعدم علمهم بمعناها، أو لعدم عملهم بمقتضاها، أو لوجود ما يناقضها وينافيها مثل اليهود وأتباع مسيلمة الكذاب الذين قاتلهم الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك غلاة الشيعة الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار لما سجدوا له، فقولها باللسان لا يكفي لعصمة الدم والمال؛ بل لابد من تحقيق ما دلّت عليه شهادة أن لا إله إلا الله من اعتقاد تفرد الله تعالى بالإلهية واستحقاق العبادة وحده، والعمل بمقتضاها من إخلاص العبادة لله، وترك ما ينقضها ويضادها من عبادة غير الله أو عدم البراءة ممن أشرك بالله.

فإن قال لك:

(نحن نستدل على أفعالنا في الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة بطلب الشفاعة منهم عند الله تعالى لفصل القضاء وإراحة الخلق من كرب الموقف وهو له).

فقل له:

١) أن هذه استغاثة بأحياء حاضرين قادرين على الشفاعة بعد الاستئذان.

٢) أنها في أمر فيه نوع نفع للخلق، فهي استغاثة حاجة لا استغاثة عبادة.

٣) أنا لا ننكر الاستغاثة بحي حاضر فيما يقدر عليه، وإنما ننكر الاستغاثة بالأموات والغائبين، أو بحي حاضر في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

٤) أن الاستغاثة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة، أي: طلب الشفاعة منهم، وهكذا بالنبي ﷺ في حياته طلب دعاء من حي حاضر قادر عليه، لا طلب نجدة من المدعو، فهو طلب دعاء من المستغاث به لا دعاءً له، وبهذا تكشف هذه الشبهة وتدحض تلك الحجة الباطلة التي طالما تعلق بها الخرافيون لتبرير شركهم.

فإن قال لك:

(لو كانت الاستغاثة بجبريل عليه السلام شركًا لم يعرضها على إبراهيم ﷺ).

فقل له::

الأول: أن القصة ضعيفة من حيث السند ـ وإن كان معناها صحيحًا ـ؛ ففي ثبوتها نظر.

الثاني: أن جبريل عرض على إبراهيم عليهما الصلاة والسلام أن ينفعه بأمر يقدر عليه ـ بإذن الله تعالى ـ فإنه كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٥].

الثالث: أنها استغاثة حاجة بحيٍّ حاضر يسمع النداء ويغيث بما يقدر عليه، ففرقٌ بين هذا وبين الاستعانة



بميت أو غائب أو حاضر في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

وإلى هنا انتهت هذه الفوائد المباركة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبالعمل الصالح تطيب الحياة قبل الممات وبعد الممات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه صلاةً وسلامًا دائمين كاملين إلى يوم حشر البريّات.

*****





المحتويات